

مفاهيم القرآن

(91) فمن يراجع الكتب التالية: (بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب) تأليف السيد محمود شكري الآلوسي، و (المفصل في تاريخ العرب) تأليف علي جواد، الجزء (1) الفصل (46)، و (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة) تأليف عمر رضا كحالة الجزء (2). من يراجع هذه المؤلفات التي تشرح النظام القبلي وأبعاده في المجتمع العربي قبل الإسلام; يعرف - معرفةً كاملةً - مدى تغلغل وتوسّع النمط القبلي عند العرب، ومدى تأثير القبيلة وعدد بطونها وأفخاذها وفروعها، تلك القبائل والأفخاذ والبطون التي كانت تبدأ أسماءها - في الغالب - بلفظة (آل) مثل; آل النعمان و آل جفنة، أو لفظه (بنو); كبنو أشجع وبنو بكر وبنو تغلب، أو كان يطلق على جميع أبنائها اسم الجدّ الأعلى للقبيلة مثل; غطفان وخزاعة (وهما - في الحقيقة - اسمان للجدود ولكنهما اطلقا على القبيلة). ولقد كان للقبيلة أكبر الدور في الحياة العربية - قبل الإسلام - وعلى أساسها كانت تدور المفاخرات وتنشد القصائد، وتبنى الأمجاد، كما كانت هي; منشأ أكثر الحروب وأغلب المنازعات التي ربّما كانت تستمرّ قرناً أو قرنين من الزمان، كما حدث بين الأوس والخزرج، أكبر قبيلتين عربيّتين في يثرب (المدينة)، وكلّ فهم آلاف القتلى قبل دخول النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم إلى المدينة. كما أنّ التاريخ يشهد لنا; كيف كاد التنارع القبليّ في قضية بناء الكعبة الشريفة ووضع الحجر الأسود في موضعه أيام الجاهلية، أن يؤدي إلى الاختلاف فالصراع الدموي، والاقتتال المرير; لولا تدخّل النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم الذي حسم الأمر بطريقة أرست جميع القبائل المتنافسة، وأطفأت نار الفتنة التي كادت أن تأكل كلّ أخضر ويا بس (3). ونظراً لما كان يتمتع به رؤساء هذه القبائل من نفوذ، وكانت تلك الجماعات تملك من قوّة ورابطة - في ذات الوقت - فقد سعى الرسول الأكرم - بحكمة كبرى - أن 1- راجع السيرة النبويّة لابن هشام 1:196 تحت عنوان اختلاف قريش فيمن يضع الحجر ولعقة دم، ومروج الذهب 2:278 تحت عنوان بناء قريش الكعبة واختلافهم في وضع الحجر الأسود وحكم النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم فيهم. 2- قال السهيلي: (لمّا سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم هذه الكلمات قال: "دعوها فإنّها دعوة منتنة " يعني أنّها كلمة خبيثة لأنّها من دعوى الجاهليّة، وجعل الله المؤمنين إخوةً وحزباً واحداً، فإنّما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين). 3- السيرة النبويّة لابن هشام 2:290 -